

الاستلاب الطبقي والمثقف العراقي في روايات برهان شاولي :

"مناهة الأشباح" و "مناهة العميان " أنموذجا"

حنان حسن علي البكري: طالبة دكتوراه في قسم اللغة العربية و آدابها/

كلية العلوم الإنساني/ جامعة تربيت مدرس – طهران – ايران

الاستاذ المشرف أ.د. فرامرز ميرزائي- استاذ في قسم اللغة العربية

وآدابها / كلية العلوم الإنساني/جامعة تربيت مدرس - طهران -ايران

المساعد الأول أ.د. كبرى روشن فكر- استاذة في قسم اللغة العربية

وآدابها/ كلية العلوم الإنساني / جامعة تربيت مدرس - طهران –ايران

المساعد الثاني أ.د. جاسم محمد حسين الجنابي – استاذ في اللغة

العربية وآدابها في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في العراق

Title of the paper

Class Alienation and the Iraqi Intellectual in the Novels of Burhān Shāwī:

‘labyrinthus of Ghosts’ and ‘Maze of the Blind’ as a Model

PHD student in Arabic language and literature - Tarbiat Modares

University

Hanan Hasan Ali Al-Bakri: h.albakri@modares.ac.ir

Professor of Arabic Language and Literature - Tarbiat Modares University

Faramarz Mirzaei(Coresponding Author) f_mirzaei@modares.ac.ir

Professor of Arabic Language and Literature - Tarbiat Modares University

Kobra Roshan Fekr - kroshan@modares.ac.ir

Professor of Arabic Language and Literature - Iraqi Ministry of Higher

Education and Scientific Research

Jasem Mohammad Hussein - hassim80_sat@yahoo.com

المستخلص

الرواية فنٌ يستحضر الظواهر الاجتماعية المتنوعة التي تؤثر في المجتمع وتغيير مجراه، ومنها ظاهرة الاستلاب الطبقي، التي تُعدُّ من القضايا الجوهرية لفهم التحولات الاجتماعية والسياسية، في سياق أزمة المثقف العراقي وهويته. يمثل الاستلاب الطبقي انقطاعاً وجودياً بين الفرد وطبقته وهويته، بما يؤدي إلى أزمة في وعي المثقف وممارساته الفكرية والاجتماعية. تتناول هذه الدراسة تمثيل الاستلاب الطبقي في روايتي برهان شاولي: مناهة الأشباح ومناهة العميان، سداً لفجوة بحثية في معالجة أزمة المثقف العراقي الحديث. وتنطلق الإشكالية من استحضر الشخصيات المثقفة بوصفها "كائنات متشظية" و"منزوعة السلطة"، تعيش صراعاً بين وعيها المستلب ومحاولاتها التعبيرية عبر الكتابة أو الهروب إلى المنفى. تكمن أهمية الدراسة في الكشف عن الآليات السردية التي تعكس انهيار البنى الطبقية والفكرية العراقية تحت وطأة التحولات المأساوية، وذلك عبر منظور روايتي قائم يُصوِّر المثقف كمرآب يائس عاجز عن التغيير. وتعتمد الدراسة على المنهج التحليلي للخطاب السردية، مستفيدة من السيميائية لفك شفرات النصوص، وتحليل رمزية أسماء الشخصيات (آدم وقابيل وإبليس)، إضافة إلى دلالات الفضاءات السردية كـ"المناهة" والمنفى، باعتبارهما استعارتين للاغتراب الوجودي. تخلص الدراسة إلى أن الرواي، يقدم رؤية مريرة حول استحالة المقاومة في واقع تهيم عليه ثنائية السلطة القائمة والاعتراب الوجودي، ويتحول فيها الاستلاب الطبقي إلى محرك رئيس للأزمات التي تعانيها الشخصيات. وتشكل "المناهة"

فضاء يُعمق التمزق ويكشف عن مأزق أيديولوجي حاد، يهدر وعي الطبقة وقدرتها على المقاومة. ورغم قسوة الطرح، فإن "المتاهات" تفتح أفقاً تأويلياً لفهم دور المثقف في زمن الخراب الطبقي والسياسي.

الكلمات المفتاحية : الاستلاب الطبقي ، المثقف العراقي ، برهان شاولي ، متاهة الأشباح ، متاهة العميان .

Abstract

The novel is an art form that evokes diverse social phenomena that influence and alter the course of society, including the phenomenon of class alienation. This is a fundamental issue for understanding social and political transformations, particularly within the context of the Iraqi intellectual's crisis and identity. Class alienation represents an existential rupture between the individual and their class and identity, leading to a crisis in the intellectual's consciousness and intellectual and social practices. This study examines the representation of class alienation in Burhan Shawi's novels, *The Labyrinth of Ghosts* and *The Labyrinth of the Blind*, aiming to fill a research gap in addressing the crisis of the modern Iraqi intellectual. The central problem stems from the portrayal of intellectual figures as "fragmented beings" and "powerless," experiencing a conflict between their alienated consciousness and their attempts at expression through writing or exile. The study's significance lies in revealing the narrative mechanisms that reflect the collapse of Iraqi class and intellectual structures under the weight of tragic transformations, through a bleak narrative perspective that depicts the intellectual as a despairing observer, powerless to effect change. The study employs an analytical approach to narrative discourse, utilizing semiotics to decipher texts and analyze the symbolism of character names (Adam, Cain, and Iblis), in addition to the connotations of narrative spaces such as the "labyrinth" and exile, which are considered metaphors for existential alienation. The study concludes that the narrator presents a bleak vision of the impossibility of resistance in a reality dominated by the duality of oppressive power and existential alienation, where class alienation becomes a primary driver of the crises suffered by the characters. The "labyrinth" constitutes a space that deepens the fragmentation and reveals a profound ideological dilemma, squandering the class's consciousness and its capacity for resistance. Despite the harshness of this perspective, the "labyrinths" open an interpretive horizon for understanding the role of the intellectual in a time of class and political ruin.

Keywords: Class alienation, Iraqi intellectual, Burhan Shawi, labyrinth of Ghosts, labyrinth of the Blind.

١- المقدمة:

١-١- بيان موضوع البحث والمشكلة

شهدت الرواية العراقية منذ أواخر القرن العشرين تحولات جذرية، إذ صارت تفكر في الذات والمجتمع من منظور نقدي، محاولةً تناول القضايا البنيوية العميقة في الواقع العراقي. في هذا السياق، تتألق أعمال برهان شاولي كإطار روائي فلسفي ينهل من علم النفس والأساطير والأديان، بهدف تفكيك البنى الذهنية والنفسية للفرد العراقي، لا سيما المثقف، في ظل التوترات السياسية والدينية والاجتماعية المحيطة.

تُعد سلسلة "المتاهات" مرآة لواقع المثقف، تكشف صراعه الوجودي وسط هواجس الطبقة والرغبة في التمرد، في فضاء سردي مركب يشتبك فيه التأويل مع العزلة. وتمثل هذه السلسلة نمطاً سردياً متماسكاً يستدعي فلسفة التناسل والأسطورة وعمق التحليل الذاتي؛ حيث يصير المثقف شاهداً مأزوماً، فاقداً للإرادة، غارقاً في التحليل المنهجي، ولا محاصِل له سوى الحيرة والصمت.

تنبثق مشكلة الدراسة من النقاء "المتاهات" مع مفاهيم الاستلاب الطبقي عند ماركس والتوسير، عبر تجسيد الاغتراب الطبقي الذي يحول المثقف إلى غريب عن طبقاته، تائه بين تراكم التاريخ الشخصي والجماعي، فاقداً القدرة على التفاعل أو المقاومة. إنه ليس فاعلاً، بل مجرد كائن مثقل بالخوف والرغبة والذنب، يعكس انهيار القيم والمفاهيم الكبرى في المجتمع العراقي.

وتهدف الدراسة إلى تفكيك صورة المثقف العراقي في روايتي "متاهة الأشباح" و"متاهة العميان"، عبر قراءة متقاطعة تجمع البعد الوجودي والبعد الطبقي، واستكشاف أدوات السرد التي استخدمها شاولي لتمثيل هذا الاغتراب المتعدد الأبعاد؛ لا لإلقاء الحكم فقط، بل لفهم الأطر الفكرية والاجتماعية التي أنتجت سرداً مُنهكاً يغلفه السؤال الوجودي والضياع. ومناقشة العلاقة بين البنية الطبقة العراقية والتحويلات السياسية عبر عدسة الرواية. وتسلط الضوء على الأثر النفسي والاجتماعي للاستلاب في تكوين شخصية المثقف وتتبع أهمية هذه الدراسة من قدرة سلسلة روايات "المتاهات" لبرهان شاولي على تقديم صورة بانورامية للتحويلات العميقة التي يمر بها العراق من الناحية الاجتماعية والثقافية والسياسية، خاصة فيما يتعلق بهوية المثقف ووعيه الطبقي، ودوره في أوقات الأزمات.

وتتلخص أسئلة الدراسة في الآتي:

- كيف تعكس روايات "مناهات" لبرهان شاوي مظاهر الاستلاب الطبقي للمثقف العراقي؟
- ما دور الطبقة والموقع الاجتماعي في تشكيل هوية المثقف في هذه الروايات؟
- أي تصور تطرحه "مناهات" للخلاص من دوائر التيه والاغتراب؟

٢-١ خلفية البحث

لقد تعددت المقاربات النقدية التي تناولت ظاهرة الاغتراب والاستلاب في الرواية العراقية والعربية، وتتنوع مناهجها وغاياتها، وقد وجدت الرواية العراقية المعاصرة في هذا الواقع المتشظي مادةً سردية خصبة، فغدت فضاءً لتمثيل أزمات المثقف العراقي، لا بوصفه شاهدًا محايدًا، بل باعتباره فاعلاً إشكاليًا يتأرجح بين المقاومة والتكيف، وبين الوعي والاغتراب. تبرز أعمال برهان شاوي، ولا سيما رواياته ضمن سلسلة "مناهات"، بوصفها مشروعًا سرديًا يستثمر بنية المناهات للكشف عن أشكال الاستلاب التي تحاصر الذات المثقفة، حيث تتقاطع المناهات بوصفها بنية سردية مع المناهات بوصفها تمثيلًا لواقع اجتماعي مأزوم .

وفي روايتي «مناهة العميان» و«مناهة الأشباح» على وجه الخصوص، تتجلى صورة المثقف العراقي المستلب طبقياً عبر شخصيات تعي اختلال البنية الاجتماعية لكنها تعجز عن إحداث فعل تغيير حاسم، نتيجة انسداد الأفق التاريخي وهيمنة أنساق السلطة والعنف والفساد، إذ تسهم في إضاعة مسار تطوّر مفهوم الاستلاب في الرواية العراقية بعد عام ٢٠٠٣، وفي الكشف عن التحولات الفكرية والاجتماعية التي أثّرت في صورة المثقف العراقي وتمثيل وعيه داخل الخطاب السردى .

وعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت السرد العراقي وتحليل شخصيات المثقف فيه إلا أن معظمها ركّز على الاستلاب الفردي أو الوجودي، أو تناول صورة المثقف من منظور نفسي أو أيديولوجي، دون أن تربط بصورة منهجية بين البنية السردية والتحليل الطبقي في تشكيل وعي المثقف العراقي داخل الرواية. كما معظم هذه الدراسات اكتفت بمقاربة جانب واحد من الصراع الروائي، كالصراع بين المثقف والسلطة أو أزمة الهوية، من غير أن تتعمق في تحليل الخلفية الاجتماعية - الاقتصادية التي تنتج هذا الصراع وتعيد تشكيله سردياً، وهنا، تتبثق الحاجة إلى قراءة نقدية تسعى إلى استجلاء آليات تمثيل الاستلاب الطبقي للمثقف العراقي في هاتين الروايتين، بوصفهما نموذجين دالّين على تشظيات الوعي الطبقي في السرد العراقي المعاصر .

٣-١- منهج البحث

تعتمد الدراسة، للإجابة عن أسئلة البحث، المنهج التحليلي للخطاب السردى مستخدماً المنهج البنوي التكويني ومستمدًا من السيميائية لفك رموز النصوص، مع تحليل دلالات الفضاءات والسيميائيات (مثل المناهات والمنفى)، وربطها باستلاب المثقف العراقي، من خلال تحليل البنية السردية والشخصيات وخلفياتها الاجتماعية والنفسية في مناهتي "الأشباح" و"العميان" يعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي الناقد المعتمد في جمع البيانات وتحليلها، وذلك لكون (CORPUS) المتن الروائي لبرهان شاوي واسعاً ومتعدد الحلقات، ولا يمكن استقصاؤه استقصاءً تاماً. يقوم هذا المنهج على استخلاص النتائج العامة من عينات مختارة عمدًا وفق معايير منهجية واضحة، بحيث تُقرأ النماذج المختارة قراءة تحليلية تكشف الظواهر السردية والفكرية التي يتناولها البحث، ولا سيما موضوعي الاستلاب الطبقي وصورة المثقف العراقي .

٤-١- أهمية البحث

تتبع أهمية هذه الدراسة، بوصفها محاولة إلى سدّ هذه الفجوة من خلال مقارنة الاستلاب الطبقي للمثقف العراقي في روايتي مناهة الأشباح ومناهة العميان لبرهان شاوي، بالاستناد إلى منهج التحليل الاجتماعي-التكويني، فالدراسة لا تكفي بتشخيص مظاهر الاغتراب بل تربطها بالبنى الطبقيّة المتحوّلة في المجتمع العراقي، وتكشف كيف تعيد الرواية إنتاج الوعي الطبقي في لحظة الانكسار التاريخي . وبهذا تسهم الدراسة في تطوير مسار النقد السردى العراقي من خلال دمج التحليل الجمالي بالقراءة الطبقيّة، بما يعيد صياغة فهمنا لدور المثقف وعلاقته بالواقع في المتن الروائي العراقي بعد عام ٢٠٠٣ .

٢- الاطار النظري

٢-١- الاستلاب الطبقي والمثقف العراقي في روايات برهان شاوي "مناهة الأشباح" و "مناهة العميان" "نموذجاً"

يُعدّ الاستلاب مفهومًا محوريًا في الفكر الفلسفي والاجتماعي، طوّره كارل ماركس لوصف انفصال الإنسان عن نتاجه ووعيه وطبقته. وفي السياق العربي، ارتبط الاستلاب بقضايا الهوية والطبقة والمثقف المغترب، لاسيما في التجربة العراقية التي عانى فيها المثقف من التحولات

السياسية والقمع، فوقع في صراع بين الانتماء والرفض. وتُظهر الرواية العراقية، وخصوصًا أعمال برهان شاوي، تماثلات هذا الاستلاب في السرد والشخصيات واللغة، حيث يتحول الوعي إلى عبء، والمتقف إلى ضحية داخلية وخارجية في آنٍ واحد [1:89].

٢-١-١- مفهوم الاستلاب الطبقي

أما الاستلاب الطبقي، فيُعرّف بأنه فقدان الإنسان لسيطرته على حياته وإرادته نتيجة تبعيته الطبقيّة، إذ يُجرّد من قدرته على التملك والإنتاج الحر والتواصل الحقيقي مع ذاته والآخرين [2:127]. ويُعدّ هذا المفهوم من الأسس المركزيّة في الفلسفة الماركسية، إذ يُستخدم لوصف حالة الاغتراب الطبقي التي يعيشها الإنسان حين يُخنزل إلى أداة في نظام اقتصادي رأسمالي، تُستلب فيه جهوده ووعيه وإنسانيته لصالح منطق الربح والرأسمال [3:23]. و ينقسم الاستلاب الطبقي إلى عدة أنواع منها الاستلاب الاقتصادي ويتمثل في أن العامل لا يملك أدوات الإنتاج، ولا يملك حتى نتاج عمله. فجهده يُباع في السوق كسلعة، وتناجه يتحول إلى ملكية أرباب العمل. [4:57]، وقد أشار ماركس في "المخطوطات الاقتصادية والفلسفية لعام ١٨٤٤" إلى أن العامل يصبح "شيئاً" في العملية الإنتاجية، الاستلاب الاجتماعي ويظهر في تهميش الطبقات الفقيرة، وحرمانها من السلطة والتمثيل والتأثير الاجتماعي. يعيش الفرد وكأنه غريب في المجتمع الذي ينتمي إليه، إذ تُحدد قيمته تبعاً لموقعه الطبقي، لا لإنسانيته. [5:126]، الاستلاب الثقافي والفكري وهو حين تتبنى الطبقات المهمشة أفكار وثقافة الطبقة المسيطرة، فتري العالم بمنظورها وتدافع عن مصالحها من دون وعي. وهنا تتحول الأيديولوجيا إلى أداة لاستمرار القهر. المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي تحدّث عن "الهيمنة الثقافية"، التي تجعل الطبقة العاملة تتماهى مع أفكار البرجوازية [6:47]، أما الاستلاب السياسي فيتجلّى في غياب التمثيل الحقيقي للطبقات الفقيرة ضمن النظام السياسي، إذ يُقصى أفرادها من مراكز القرار، وتُستغلهم الأنظمة القمعية، ويُمارس عليهم الإذلال باسم "القانون" أو "النظام" [7:32]. [8:22]. وتتمثل مظاهر الاستلاب الطبقي وتحويل الإنسان إلى سلعة في سوق العمل [9:78] اللامساواة الفاحشة في توزيع الثروة والفرص.

١. غياب العدالة الاجتماعية وسيطرة النخبة على القرارات والمصائر.

٢. تفشي الجهل والتجهيل الممنهج للغئات الكادحة.

٣. الشعور بالعجز والدونية لدى الطبقات الدنيا.

٤. الانغلاق الطبقي وصعوبة الانتقال الاجتماعي بين الطبقات [10:77].

وتتجلّى مظاهر الاستلاب النفسي لدى الأفراد من خلال مشاعر التمزق الداخلي والانسلاخ عن الذات والاغتراب، فإن البعد الاجتماعي لا ينفصل عن البعد النفسي إذ يرتبط بصورة وثيقة بهوية المتقف وموقعه الطبقي بوصفه فاعلاً مأزوماً، فنجدته يتأرجح بين محاولات الانكفاء والتبعية أو المواجهة، وهنا تبرز مسألة الهوية الطبقيّة للمتقف في ظل واقع يفرض بسوذه التنشيط الاجتماعي والقمع السياسي [11:186].

٢-١-٢- هوية المتقف والطبقة الاجتماعية:

المتقف ليس مجرد شخص يمتلك معرفة أو مؤهلات أكاديمية، بل هو فاعل اجتماعي يتميز بقدرته على تحليل الواقع، وطرح الأسئلة، والمساهمة في تشكيل الوعي العام. والمتقف الحقيقي - كما عرفه غرامشي - هو من يؤدي "وظيفة عضوية" ترتبط ببنية المجتمع، لا من ينزل في برجه العاجي [12:178].

أ. المتقف العضوي (غرامشي)

متقف يرتبط بطبقة اجتماعية صاعدة (كالطبقة العاملة)، ويعبر عن مصالحها، ويعمل على تغيير الوعي السائد، ويخوض صراعاً فكرياً مع الأيديولوجيا المسيطرة [13:187].

ب. المتقف التقليدي:

يتبع خطاباً عامّاً لا يصطدم بالبنية الطبقيّة القائمة ويميل إلى الحياد أو الانعزال، وغالباً ما يكون جزءاً من مؤسسات السلطة (جامعات، إعلام).

ج. المتقف المأجور أو السلطوي:

يستخدم معارفه لتبرير الوضع القائم أو لخدمة السلطة أو الطبقة المسيطرة ويمارس تزييفاً للوعي، ويُعد أداة ضمن جهاز الهيمنة الثقافية.

في السياق العربي، كثير من المثقفين يعيشون ازدواجية بين الانتماء المعرفي والانتماء الطبقي. فقد يكون المثقف من أبناء الطبقات الفقيرة، لكن بوصله إلى موقع ثقافي مرموق، ينفصل عن مجتمعه الأصلي. أو قد يستخدم أدوات السلطة بينما يدعي معارضة النظام وتنعكس هذه الهوية المتذبذبة في [36:14]

خطاب ثقافي نخبوي غير مفهوم للجماهير عجز عن اتخاذ مواقف جذرية في اللحظات السياسية الحاسمة. وتحول الثقافة إلى سلعة خاضعة للسوق أو لمزاج الممول [47:15].

٢-٢-١- مفهوم الاستلاب أو الاغتراب: (Alienation)

هو مفهوم فلسفي واجتماعي ارتبط بدايةً بالفكر الماركسي، ويشير إلى فقدان الإنسان لعلاقته الحقيقية بذاته، أو بمجتمعه، أو بعمله. في السياق الطبقي، يكون الاستلاب نتيجة لانقسام المجتمع إلى طبقات متصارعة، حيث يشعر الفرد، وخاصة المثقف، بالانفصال عن أدوات الإنتاج، عن محيطه، أو عن قضاياه الأساسية [23:16].

كارل ماركس ربط الاغتراب بالواقع الرأسمالي، إذ يصبح العامل مستلباً لأنه لا يملك أدوات إنتاجه، ويصبح مجرد ترس في آلة اقتصادية. بينما في السياق العراقي، يمكن قراءة الاستلاب على نحو أوسع، ليشمل السياسي، والديني، والثقافي، والنفسي [120:17].

٢-٢-٢- دور المثقف في المجتمع

المثقف، كما يُعرّفه أنطونيو غرامشي، هو من يؤدي دوراً عضوياً داخل الطبقة الاجتماعية، ويشارك في تشكيل وعيها. و لكن في السياق العراقي، وخصوصاً في روايات برهان شاوي، نجد أن المثقف قد تحول إلى كائن مغترّب، مشوش، مسلوب الإرادة، في ظل الاستبداد السياسي، والانقسامات الطائفية، والحروب المستمرة. تُظهر المتاهات نماذج مختلفة للمثقف [77:18].

أ- المثقف التابع/الانتهازي

المثقف التابع أو ما يُعرف أحياناً بـ"المثقف الانتهازي" هو ذلك المثقف الذي يفقد استقلالته الفكرية، ويضع أدواته المعرفية في خدمة السلطة أو الطبقة المسيطرة، مقابل امتيازات شخصية مثل المال، الشهرة، المنصب أو الأمان. هذا النوع من المثقفين لا ينحاز إلى الحقيقة أو العدالة، بل إلى مصالحه الخاصة، ولو على حساب ضميره أو مجتمعه.

ب- المثقف الصامت أو المنسحب

هو المثقف الذي يختار الانكفاء عن الشأن العام، ويتجنب الدخول في صراعات سياسية أو اجتماعية، مكتفياً بدور محدود داخل فضائه الخاص (الأكاديمي، الأدبي، أو الفني)، دون أن يتخذ موقفاً واضحاً من القضايا الكبرى التي تمس مجتمعه [59:19]

ج- المثقف المقاوم لكنه ممزق داخلياً

هو نموذج مركّب ومعقّد للمثقف، يعبر عن الشخصية التي تتحاز نظرياً ووجدانياً إلى قضايا التحرر والعدالة، وتتبنّى خطاباً نقدياً مقاوماً للسلطة أو للواقع الطبقي أو الاستعماري، لكنها تعيش في الوقت ذاته صراعاً داخلياً حاداً بين المبدأ والتكلفة، بين القناعة والسقوط، بين الحلم بالحرية والواقع القمعي.

٢-٢-٣- الطبقة والهوية الاجتماعية

تتشكل الهوية الطبقيّة تبعاً لموقع الفرد داخل البنية الاجتماعية، سواء على المستوى الاقتصادي أو الثقافي. وفي العراق، أدت عقود من الحروب والاحتلال والتقلبات السياسية إلى اضطراب الهيكل الطبقي التقليدي، فتراجعت الطبقة الوسطى التي كانت تضم النخب الثقافية وتشكل قاعدة الاستقرار الاجتماعي. ونتيجة لهذا التحول، أصبح المثقف في موقع مُعلّق، لا ينتمي إلى طبقة واضحة ولا يمتلك أدوات فعّالة للتأثير في المجال العام، الأمر الذي عمّق من استلابه وهشاشته موقعه الاجتماعي [58:10]

٢-٣-٢- السرد الروائي والاستلاب الطبقي

في الرواية، يظهر الاستلاب الطبقي من خلال شخصيات مُهمّشة، مسحوقة، أو تعاني من فقدان القيمة أو السيطرة على حياتها، نتيجة الفقر، الجهل، أو خضوعها لسلطة طبقية. هذه الشخصيات كثيراً ما تُقدّم بوصفها ضحية لبنية اجتماعية ظالمة، تجعلها عاجزة عن تحقيق ذاتها أو إدراك سُبل تحررها [39:21].

٢-٣-١- مظاهر استخدام السرد الروائي في كشف الاستلاب الطبقي

١. عبر الشخصيات:

الروائي يرسم شخصيات من الطبقات الدنيا تُعاني من فقدان الكرامة والحقوق، وتبدو أحياناً كأنها تُطوّع ذاتها لخدمة الطبقات العليا دون وعي بذلك.

٢. عبر اللغة والأسلوب:

٣. لغة الرواية قد تُبرز الفجوة الطبقيّة من خلال الحوار، والأفكار، والتباين في الوعي بين الشخصيات.

٤. عبر الحبكة و الصراع:

٥. الصراع في الرواية كثيراً ما يكون بين الفرد والمجتمع، أو بين الوعي الزائف والوعي التحرري، وهو صراع يعكس الاستلاب ومحاولة تجاوزه.

٦. عبر الرمز و التناص:

تُستخدم الرموز مثل السجن، المصنع، المدرسة، أو المدينة الكبيرة كفضاءات تُجسّد السيطرة الطبقيّة والاغتراب. [22: 78]

٢-٣-٢- مظاهر الاستلاب الطبقي في الرواية:

- الاغتراب عن الذات: كأن يشعر العامل أو الفقير أنه بلا قيمة.
- تبنّي قيم الطبقة المهيمنة: حيث ترى الشخصيات أن خلاصها يكون بالتشبه بالأغنياء أو التقرب منهم.
- العجز عن الفعل: الشخصيات لا تغير مصيرها، بل تخضع له.
- الانتحار أو الجنون أو الهروب: نهاية كثير من الشخصيات المسحوقة تعكس بأساً عميقاً

٢-٣-٢- مفهوم السرد الروائي

ان السرد الروائي كأداة لفضح الاستلاب في سلسلة "المناهات"، يستخدم برهان شاوي السرد كأداة تفكيك وكشف، حيث تُقدّم الشخصيات داخل فضاء متشظّ، مضطرب، يغيب فيه المعنى ويتكرر فيه التيه. وتُستخدم فيه تقنيات ما بعد الحداثة مثل: [15: 140]. تفتتت الزمن وهو تقنية سردية تُستخدم في الرواية لتقديم الأحداث ليس بالترتيب الزمني التقليدي (أي التسلسل من الماضي إلى الحاضر)، بل من خلال تشظيات زمنية، تقفز بين الحاضر والماضي والمستقبل، أو عبر استرجاعات وتأمّلات داخلية [24: 48]، أو من خلال تقنية تعدد الأصوات وهو أسلوب سردي يستخدم في الرواية حيث تظهر القصة من خلال عدة أصوات أو وجهات نظر مختلفة، وليس صوت راوي واحد فقط. هذا الأسلوب يُثري النص ويُعطي عمقاً فكرياً ونفسياً، ويسمح بتمثيل تنوع الأفكار والطبقات الاجتماعية والصراعات الداخلية، هذا بالإضافة إلى الغموض الرمزي وهو استخدام الرموز والإشارات غير المباشرة داخل النص الروائي بطريقة تُثير فضول القارئ وتدفعه للتأويل، حيث تكون بعض المعاني غير واضحة أو مفتوحة لتفسيرات متعددة، مما يمنح النص بعداً عميقاً وغنياً [25: 35]، حضور القمع والتفكك النفسي في السرد الروائي، حضور القمع والتفكك النفسي يمثل موضوعاً مركزياً يعكس الواقع القمعي الذي تعيشه الشخصيات، وتأثيره العميق على صحتها النفسية وسلوكها، حيث يتشابك القمع الاجتماعي أو السياسي مع الأزمت النفسية الداخلية، مسبباً حالة من الانهيار أو التمزق النفسي وكلها أدوات تساهم في تصوير تجربة المثقف في بيئة تنفي الذات وتحطّم الانتماء الطبقي والثقافي [26: 176]، الهوية والانقسام الثقافي حيث الاستلاب لا يظهر فقط بوصفه أزمة فردية، بل هو أيضاً أزمة هوية جماعية، خاصة حين يتحوّل المثقف إلى شاهدٍ على انهيار مشروع الدولة الوطنية. وهنا تتقاطع أزمة الطبقة مع أزمة الانتماء، لتنتج مثقفاً مسلوب الوعي، يعيش على هامش التحولات [16: 95].

٣- الاطار العملي

٣-١- تمثيلات الاستلاب الطبقي في روايتي "الأشباح" و "العميان"

روايتا برهان شاوي، «مناهة الأشباح» و«مناهة العميان»، تقدمان سرداً معقداً يعكس الواقع الاجتماعي والسياسي العراقي بعد سنوات من الحروب والتحولات العنيفة. في «مناهة الأشباح» يتحول الإنسان إلى كيان أشبه بالشبح، يعيش بلا جنور واضحة ويفقد انتماءه الطبقي، بينما تعكس الأشباح المحيطة به أثر العنف الاجتماعي والسياسي على الفرد. الرواية تسلط الضوء على هشاشة الطبقة الوسطى وتفكك البنية الاجتماعية، حيث يصبح الإنسان عاجزاً عن التحكم في مصيره أو التأثير في محيطه. أما «مناهة العميان» فتستبدل الشبحية بالعمى الرمزي، ليصبح المجتمع بأسره عاجزاً عن الرؤية الواعية، وتصبح القوى المسيطرة غير مدركة لمعاناة الآخرين، ما يعمق حالة الاستلاب والضياع. في هذه الرواية، الشخصيات تبحث عن مخرج من مناهة الحياة لكنها تصطدم بعجز داخلي وواقع خارجي فوضوي، يعكس فقدان البوصلة الأخلاقية والاجتماعية. وبهذه الطريقة، تتكامل الروايتان في رسم صورة الإنسان العراقي بين العجز الفردي والاستلاب النبوي، ما يجعل الهوية الطبقيّة

والمكانة الاجتماعية في أزمة دائمة. التركيب السردى للمتاهة، سواء عبر الأشباح أو العمى، يمنح القارئ إحساساً بالاحتجاز في دائرة مغلقة، حيث لا مهرب من هشاشة الواقع الاجتماعي والسياسي، ويبرز المثقف بوصفه ضحية مزدوجة: مستلب طبقياً وفاقد القدرة على التأثير. الروايتان بالتالي لا تقدمان مجرد أحداث، بل رؤى وجودية تعكس مأزق الإنسان في مجتمع فقد التوازن بين طبقه ووعيه، وتكشف عن استلاب يمتد من الفرد إلى المجتمع ككل.

٣-١-١- الاستلاب الوجودي

١- "آدم البغدادي" (متاهة الأشباح، ص ١٥)

"أسمي الكامل، آدم البغدادي. وبالرغم من أنني، وهذا طبيعي جداً، ولدت في بلد يسمى العراق، لعائلة ما، من أم وأب، إلا أنني لا أحس بأي انتماء لأي بلد، ولا لأي عائلة، وكأنني جنّت إلى الدنيا بلا أم ولا أب. هكذا جنّت ببساطة. وجدت نفسي موجوداً في هذا العالم" [٣ : ١٥] في رواية «متاهة الأشباح» يظهر الاستلاب الطبقي كموضوع متكرر ومؤثر على الشخصيات، وليس مجرد حادثة معزولة. فقد لاحظ آدم البغدادي أن الفرد العراقي يتحول إلى شبح بلا جذور واضحة، يعيش على هامش الحياة ويعاني من فقدان انتمائه الطبقي. ويتكرر هذا المعنى في أكثر من موضع من الرواية، ففي الصفحة ٤٢ يتكرر تصوير الشخصيات المحاصرة داخل متاهة اجتماعية حيث لا سلطة للقراء على مصيرهم، وفي الصفحة ٧٨ تظهر الهشاشة الطبقيّة مجدداً حين يواجه المثقف فقدان أدوات التأثير الثقافي والسياسي، ويظل معلقاً بين الماضي المضطرب والحاضر الفوضوي. كما أن الصفحات ١١٠ و ١٣٢ تتناولان شعور الشخصيات بالعزلة والاغتراب الاجتماعي، مؤكدة أن الاستلاب الطبقي ليس حالة فردية، بل بنية متكررة تمتد على طول النص، تؤكد هشاشة الطبقة الوسطى وانعدام القدرة على التغيير. بهذه الطريقة، يستخدم شاوي الرمزية (الأشباح) لتكرار هذا المعنى في سياقات متعددة، معزراً فكرة أن الاستلاب الطبقي ليس مجرد فقدان اقتصادي، بل فقدان وجودي وانتماء اجتماعي متواصل.

في روايتي «متاهة الأشباح» «و**متاهة العميان**»، يُقدّم آدم كشخصية محورية تمثل حالة المثقف العراقي الممزق والمستلب اجتماعياً وطبقياً. في «متاهة الأشباح» يظهر آدم كشبح حي، يتنقل بين ذاكرة الماضي المضطرب والحاضر الفوضوي، غير قادر على الانتماء لأي طبقة اجتماعية أو التفاعل مع المحيط، ما يجعله رمزاً للاستلاب الطبقي والاغتراب النفسي. يتجلى ذلك في هشاشة علاقاته ومحدودية قدرته على التأثير في الأحداث، فهو يعيش تجربة الفقد المزدوج: فقدان المكان وفقدان الصوت داخل المجتمع العراقي.

أما في «متاهة العميان»، يتحوّل آدم إلى شخصية تواجه واقعاً أعمى اجتماعياً وسياسياً، حيث تمتلك الطبقات المسيطرة القوة لكنها فاقدة للبصيرة، ويصبح هو محاصراً بين وعيه بالحقائق الاجتماعية وعجزه عن التغيير. هنا يعكس آدم الصراع بين المعرفة واللاقدرة، وهو رمز للمثقف العراقي الذي يدرك فساد الواقع وهشاشة الطبقة الوسطى لكنه عاجز عن مواجهة منظومة السلطة والفوضى. في كلا الروايتين، تتقاطع رحلة آدم مع متاهة المجتمع، ويصبح وجوده مرآة للاغتراب الطبقي والفقد الوجودي، ما يجعل شخصيته مثلاً حياً على العلاقة بين الفرد والمجتمع في العراق بعد سنوات من التحولات العنيفة، يكشف برهان شاوي عبر شخصية "آدم التائه" السارد الضمني لرواية "متاهة الأشباح" المتضمنة للرواية الإطارية في أوراق سيرة "آدم البغدادي"، وهو كاتب أيضاً نعرفه من (متاهة آدم) في الرواية التي كتبها بعنوان (السقوط إلى الأعلى)، في رواية "متاهة الأشباح" يتمرد "آدم التائه" على خالقه "آدم البغدادي" فيقرر كتابة رواية عنه، وهنا الاغتراب لا يمس شخصية المثقف في الواقع وإنما يمسّه في الخيال والعالم الافتراضي كشخصية أدبية.

يكشف النص عن الاستلاب الوجودي لشخصية "آدم البغدادي"، وهو شعور الإنسان بالغربة عن ذاته وفقدان معنى وجوده، نتيجة الضغوط النفسية والاجتماعية التي تجعله يعيش في فراغ داخلي وقلق مستمر. أما الاستلاب الطبقي فهو حالة الحرمان والقهر التي تتعرض لها الطبقات الفقيرة من الموارد والحقوق، مما يؤدي إلى فقدان السيطرة على حياتها. يرتبط الاستلاب الوجودي بالاستلاب الطبقي، حيث أن الظلم الطبقي يولد شعوراً بالاغتراب والتمزق النفسي. في الأدب، تُصوّر هذه الظواهر من خلال شخصيات تعيش تمزقاً داخلياً وانعزلاً عن المجتمع التي يعيشها الإنسان العراقي المعاصر، لا سيما المثقف المنتمي إلى الطبقات المهمّشة. يبدأ السرد بتجريد آدم من ارتباطه بجذوره العائلية، والوطنية والاجتماعية، ليختزل إلى مجرد رقم في هذا العالم، التعبير "هكذا جنّت ببساطة". وجدت نفسي موجوداً في هذا العالم " هي صورة تختصر وجود الانسان القسري في بلد مثل العراق بوصفه خاضعاً للتجاهل، بل هو زائد عن الحاجة، وهو ما يحيل إلى التشييء الكامل للذات: يتحول الإنسان إلى كائن بلا أثر، لا فرق بين وجوده وعدمه. هذا الشعور بالعجز ينبع من انتمائه إلى طبقة مسحوقة، وهذه التسمية

تُبرز الأبعاد الطبقيّة للاضطهاد، وتُظهر غياب الدعم الاجتماعي والوطني والأسري وكيف تشترك السلطة السياسية مع البنية الاجتماعية في إنتاج الإقصاء.

هذه القطيعة مع الانتماء الاجتماعي تشير إلى فقدان الوعي بالذات، إذ لا يملك أفراد هذه الطبقة أدوات تشكيل هويتهم الثقافية أو السياسية أو حتى الفردية. فهم مسلوبو القدرة على الفعل والمعنى، وهي إحدى أقسى صور الاستلاب الماركسي وهذا ما يؤكد تكرار أسم " آدم " في بداية النص الذي يشير إلى انشطار ذاتي ، وضياح وجودي لهوية مأزومة وغير مستقرة للمتقف العراقي .
وأخيراً، تأتي الكتابة هنا كفعل وجودي بامتياز: " كثيراً ما سألت نفسي عن سر تعلقي بالكتابة ، وعن السبب الذي دفعني لكي أصير كاتباً... للهرب من الذات ، والتحول إلى شبح "

إلى شبح . فإنه ليس للكاتب حياة خاصة به ، وحتى حينما يكون هناك فإنه ليس هناك حقاً ! لا أعرف بالضبط! " [٣ : ١٩]. ليُفنع نفسه بأنه ما زال حياً فالكاتب ليست إبداعاً ولا مقاومة مباشرة، بل محاولة لإثبات الوجود في وجه العدم، إنها شكل من البقاء الرمزي . هذا يضع آدم في موضع المتقف المهمّش، الذي لا يمتلك سوى لغته لمواجهة المحو، لكنه في الوقت ذاته يُدرك عبثية هذا الفعل ضمن منظومة لا تعترف لا بصوته ولا بوجوده.

أما على الصعيد السردي فيستخدم النص عدة تقنيات سردية تتضح من خلال السرد الحوارى الذاتى المباشر ، واللغة المقتضبة الكثيفة، التي تعكس عمقاً وجدانياً وانغماساً في الضيق النفسى والتهميش الاجتماعى الناتج من إقصاء شريحة المتقفين وحرمانهم من ممارسة حقوقهم كأفراد نتيجة لتعارض موقعهم المعرفى مع البنى الاجتماعية والسلطوية إذ ينظر اليهم كمشاكسين أو غير مندمجين مع المنظومة المجتمعية خصوصاً إذا رفضوا التبعية أو الانخراط في أطر الأدلجة حيث يتم إقصائهم من دوائر التأثير الفعلى عبر تجاهلهم أو كتم صوتهم أو تقييد حرياتهم ، مما يؤدي إلى عزلهم وتحجيم أثرهم الاجتماعى ، كما يرمز تكرار أسم " آدم آدم آدم " في النص إلى تكرار التجربة الوجودية التي لا تجد تكراراً لهويتها الاجتماعية ، مما يسهل على القارئ ادراك حجم الانفصال الذاتى والاعتراب النفسى ، و يجعل هذا المقطع نموذجاً دالاً على الاستلاب الطبقي والروحي الذي يشكّل جوهر تجربة برهان شاوي الروائية العاكسة لمعاناة الإنسان العراقي الباحث عن ذاته وسط ظلال الاستلاب الطبقي والهوية المجزأة .

٢- "حواء البوسني" و "آدم الشيببي" (مناهة العميان ، ص ٢٩٢)

في رواية «مناهة العميان» تتجلى مظاهر الاستلاب الطبقي والاجتماعي من خلال شخصيات مثل حواء البوسني و آدم الشيببي . حواء البوسني تمثل حالة الاستلاب الاجتماعي والطبقي المزدوج؛ فهي تنتمي إلى طبقة مهمشة وتعاني من عجز مستمر عن تغيير وضعها أو التأثير في محيطها، ويظهر ذلك في مواقف متعددة، منها على سبيل المثال حين تُجبر على الانسحاب من فضاءات العمل أو الثقافة، ما يعكس فقدان الصوت والقدرة على التمثيل الاجتماعي [٢٩٢: ٢٩٢]. كما تتكرر إشارات إلى ضعفها الطبقي والمعنوي في الصفحات ١٤٨ و ٢١١، حيث يواجهها مجتمع أعمى عن معاناتها، فتظل محاصرة بين الفقر الاجتماعي والسيطرة القاسية للطبقات الفاعلة.

أما آدم الشيببي، فيتجلى استلابه في بعده النفسى والفكرى، فهو مثقف يدرك الهشاشة الطبقيّة والمأزق الاجتماعى لكنه عاجز عن مواجهة القوى المسيطرة. يظهر هذا الاستلاب في الصفحة ٢٩٢، حين يواجه العجز أمام منظومة المجتمع العمياء ويكتشف أن وعيه بالواقع لا يمنحه أي قدرة على تغييره. وتتكرر مظاهر هذا الاستلاب في الصفحات ١٧٥ و ٢٣٤، حيث يظل آدم محاصراً داخل المناهة الاجتماعية والسياسية، مع شعور دائم بالعزلة والاعتراب، ما يجعله نموذجاً للمتقف العراقي المستلب على المستوى الطبقي والوجودي.

"أحست حواء البوسني بقرب نفسى من آدم الشيببي.. فما يقوله تدركه هي بمعرفتها الحدسية ، وبخبرتها في الحياة.. ووجدت نفسها تتساق مع تيار أفكارها، فقالت بنبرة مشحونة بالمشاعر - بعض الناس.. رجالاً ونساء.. من المتقفين والسياسيين والناس العاديين حتى.. يقفون أحياناً أمام المرايا .. ينظرون إلى وجوههم.. يرتعبون من قبحهم.. ووساختهم الداخلية.. ويتأفون من الروائح الكريهة المنبعثة من مستنقعات أعماقهم.... نظرت إليه وعلى وجهها ابتسامة رقيقة وقالت:

- أنت إنسان طيب.. منذ متى أنت في سوريا ؟...؟

منذ فترة ليست طويلة

هل تعمل في الصحافة ؟..

لا .. أنا هنا أحاول أن أجد منفذاً للهجرة..

- الكل يهاجر .. يهرب .. أخاف على بلدي سوريا .. نحن في أزمنا مضطربة.. ترعبنى ساعة الشؤم التي تلوح في الأفق المدلهم... [٢٩]: [٢٩٢].

يظهر هذا المقطع من رواية "مناهة العميان"، حواراً بين شخصيتين هما: "حواء البوسني" و الراوي الضمني لمناهة العميان "آدم الشيببي"، وتحمل اسمائهما دلالات رمزية تعود إلى الإنسان الأول، وكأن الكاتب يعيد طرح سؤال البدايات في سياق معاصر مضطرب. تبدأ حواء بإحساس داخلي يقربها من آدم، لا ناتجاً عن تواصل ظاهري مباشر، بل عن حدس وتجربة حياتية عميقة، ما يشي بعلاقة تتجاوز الكلمات إلى مستوى روحي وفكري.

في تأمل داخلي صريح، تعبر حواء عن رؤيتها للواقع الإنساني، إذ تتحدث عن أناس يقفون أمام المرايا ويرون وجوههم، لكنهم لا يرون الملامح الخارجية، بل قبحهم الداخلي، ووساختهم النفسية، ورائحة مستنقعات دواخلهم. هذه الصورة المجازية تعكس حالة الانهيار الأخلاقي لدى بعض الأفراد، بمن فيهم مثقفون وساسة وعامة الناس، في إشارة إلى فساد إنساني داخلي غير مرئي لكنه محسوس. تتحول نبرة النص فجأة من سوداوية التأمل إلى دفء الحوار، حين تبسم حواء وتقول لآدم: "أنت إنسان طيب"، مما يدل على رغبتها في التعلق بالنقاء في وسط هذا السواد، وربما تلميح إلى ندرة الطيبين. يتطور الحوار إلى الكشف عن أن "آدم" ليس منخرطاً في أي مهنة، بل جاء إلى سوريا بحثاً عن طريق للهجرة، في دلالة على انسداد الأفق وشعور الإنسان بالغربة في وطنه.

إذ تعبّر "حواء البوسني" عن قلقها العميق من هذه الظاهرة، وتصنفها بأنها "هروب جماعي"، تخشى أن يفرغ البلاد من أهلها. حديثها عن "أزمنا مضطربة" و"ساعة شؤم" يظهر خوفها من مستقبل قاتم، حيث تلوح كارثة وطنية أو إنسانية في الأفق. هنا تبرز الأزمة السياسية والاجتماعية التي تمر بها سوريا، وتعكس الرواية من خلال هذا المشهد تجربة أوسع يعيشها الإنسان العربي عموماً، بين البقاء المر والرحيل المجهول.

يمزج النص بين الفلسفة والواقع، وبين الخاص والعام، حيث يتقاطع القلق الشخصي ل"حواء البوسني" مع همّ وطني شامل، وتظهر هشاشة الفرد في مواجهة الانهيارات السياسية والأخلاقية. هذا المقطع يفتح باب التأمل في طبيعة الإنسان، ومصيره في ظل مجتمعات مأزومة، وي طرح أسئلة وجودية عميقة عن الهوية، والانتماء، والنجاة حيث تتجلى مظاهر الاستلاب النفسي والطبقي للمثقف العراقي . أما على الصعيد السردى فيستخدم النص عدة تقنيات سردية تعطى فيها الأولوية للمشاعر الداخلية والأحاسيس التي تصور الواقع وتعمق الشعور بالاعتراب والاستلاب النفسي عبر لغة رمزية واصفة لقبح الوضع الخارجي والداخلي "مستنقعات أعماقهم" و"الروائح الكريهة" تبرز أجواء القمع الاجتماعي والسياسي، فضلاً عن السرد الحوارى المتبادل الذي يكشف عن التفاعل ويعبر عن عمق الأزمة الاجتماعية والنفسية، ويوحى بالقلق من القادم ، مما يعزز أجواء التوتر "ساعة الشؤم" التي تلوح الأفق .

نستنتج من هذا المقطع حضور الاستلاب النفسي والهوية المأزومة كنتيجة مباشرة لهيمنة السلطة والقمع الطبقي باستخدام تقنيات سردية متعددة ، مما يجعل السرد حيويًا وأكثر تأثيراً في تصوير الأزمة الطبقيّة للمثقف العراقي .

٣-٢- الاستلاب السياسي والاقتصادي

"ماذا تحلم في هذه اللحظة يا أيها الكاتب الأعزل؟" (مناهة الأشباح، ص ٣٩)

"أذكر مرة، ومنذ سنوات أننى التقيت صديقاً شيوعاً مسناً، قضى فترة طويلة من عمره في السجون والبيوت السرية، لكنه ترك العمل السياسي بعد أن وقع على تعهد عدم ممارسة العمل السياسي ولم يكن توقعه انهياراً وضعفاً، لأنه حدثنى بأنه وجد تقارير مكتوبة عن تفاصيل حدثت بين شخصيات مناضلة محصورة جداً، فأحس لحظتها بالخدعة، وتعهد بترك العمل السياسي، لكنه ظل وفياً لنفسه وأفكاره المهم بهذا المناضل الذى اعتزل السياسة سألني بعد نقاش طويل بيننا سؤالاً مبالغاً ذات مرة ونحن نجلس في مقهى البرلمان بشارع الرشيد- بماذا تحلم في هذه اللحظة يا أيها الكاتب الأعزل؟

حينها لم أفكر طويلاً في الإجابة فقلت له مباشرة:

- أحلم أن أكون مستقياً على فراشي في البيت وأنا أقرأ رواية. فحقد في وجهي برهة متأملاً وعلى شفثيه ابتسامة أبوية وقال بطيبة، وكأنه يطلق حكماً:

- برجوازي صغير، إنها أحلام البرجوازي الصغير.

-فاجأني التعليق لا سيما وأنا أكن لهذا المناضل احتراماً كبيراً ويعينني رأيه، وبرغم ذلك لم أشعر بالإساءة، ربما لطريقته الأبوية في التعليق ولانعدام سوء النية، فسألته بمشاكسة وتحذ
وأنت بماذا تحلم؟

فقال مباشرة وبشموخ وكأنه كان ينتظر سؤالاً: بالثورة، بالثورة البروليتارية. يقول لينين يجب أن نحلم لكن حلمنا يجب أن يكون من حلم الطبقة العاملة". [٣٩:٣].

يقدم لنا "برهان شاوي" في روايته "مناهة الأشباح" مشهداً حوارياً مؤثراً لنص من سيرة السارد الأول وقناعه "آدم البغدادي" في الرواية المتضمنة للرواية الإطارية على لسان صديقه "آدم التائه" حيث يدور الحوار بين الراوي "آدم البغدادي" وصديقه الشيوعي المسن، الذي يعالج من خلاله تعارض الحلم الفردي مع الحلم الجماعي الثوري، وي طرح تساؤلات عميقة حول الالتزام السياسي، والخيبة، ومعنى الحلم في عالم مأزوم.

في البداية، يُقدم الكاتب صورة لذلك الصديق الشيوعي المعتق، الذي أمضى سنوات في النضال والسجون والعمل السري، لكنه قرر الانسحاب من العمل السياسي بعد أن اكتشف خيانة رفاقه من خلال تقارير سرية، في لحظة صادمة شعر فيها بالخديعة. ورغم انسحابه، ظل وفياً لفكره وقيمه، مما يُظهر شخصية مبدئية لم تتاجر بخروجها من العمل السياسي.

و يتخذ السرد طابعاً شخصياً ومكاشفةً فكرية حين يسأله الصديق المسن فجأة

"بماذا تحلم في هذه اللحظة يا أيها الكاتب الأعزل؟"

ويجيب الكاتب بعفوية:

"أحلم أن أكون مستلقياً على فراشي في البيت وأنا أقرأ رواية

هذا الحلم البسيط والمألوف يُقابل بابتسامة وتعليق وصفه الراوي بـ"الأبوي"."

"برجوازي صغير... إنها أحلام البرجوازي الصغير". [٣٩:٣]

في هذا التعليق نقد طبقي ناعم، يصدر من رجل كان يؤمن أن الأحلام يجب أن تكون مرتبطة بقضايا الجماهير والطبقة العاملة. الحلم بالراحة الشخصية والقراءة يُقابل بحلم الثورة والتغيير، وهو ما يكشف تفاوت الرؤى حول دور الفرد في العالم، وحول ما يُعد حلمًا مشروعاً أو "صغيراً" أو "كبيراً".

لكن الرد لم يكن جارحاً رغم صراحته، بسبب أسلوب الرجل ونقائه، ما جعل الراوي لا يشعر بالإهانة، بل استمر الحوار وتحول إلى تحدٍ وفضول، فسأل المناضل العجوز:

"وأنت، بماذا تحلم؟"

ليجيب بقوة: "بالثورة، بالثورة البروليتارية... حلم الطبقة العاملة"، مستشهداً بلينين، مؤكداً أن الحلم لا بد أن يكون منبثقاً من واقع

الطبقة الكادحة". [٣٩:٣]

هذا المشهد يعكس صراحةً فكراً بين جيلين أو تيارين "الأول" يمثله الراوي "آدم البغدادي" وهو الحلم الفردي والذي يمثل شكلاً من أشكال النجاة أو الراحة، والثاني يمثله المناضل الذي لا يرى للحلم معنى إلا إن ارتبط بالتحرك الجماعي.

يعبر النص في جوهره ليس فقط عن الحلم، بل عن القيم، وخيبة الأمل، والانكسار النبيل، وكيف يمكن أن تظل وفياً لفكرة حتى بعد أن تتوقف عن النضال العملي. كما أن الكاتب يطرح هنا، بلغة هادئة وحوار بسيط، قضية مركزية في الفكر السياسي والأدبي: هل الحلم فعل فردي؟ أم يجب أن يكون فعلاً سياسياً جماعياً؟

هذا التوتر بين الحلم الشخصي والالتزام الثوري يُعد أحد المحاور الأساسية في أدب برهان شاوي، ويظهر هنا بشكل مكثف وعميق دون شعارات، بل عبر تجربة إنسانية حيّة وصادقة

وهو ما تعكسه اللغة السردية للنص والتي تعبر بوضوح عن حالة الاستلاب الطبقي والتمزق الداخلي بين الانسحاب القسري الناجم عن القمع أو الالتزام السياسي للمثقف العراقي، حيث يعتمد السارد الى تقنيات الزمن، فينتقل بالسرد بين ذكريات الماضي والحاضر ليعكس الاضطراب الداخلي للمثقف الذي يعيش بين زمنين زمن الانسحاب وزمن النضال فيضطر إلى ترك عمله تحت وطأة الضغوط السياسية والاجتماعية، لكنه يحتفظ في قرارة نفسه بالمبادئ والأفكار التي يؤمن بها، مما يؤدي إلى تعميق الإحساس بالاغتراب والاستلاب النفسي

، ويجعل من الحوار بين الشخصيتين مسرحاً للصراع الطبقي والفكري، كما يتيح استكشاف الانقسامات الاجتماعية والنفسية بشكل شخصي وحي من خلال استخدام اسلوب التناقض بين حلمين مختلفين (حلم الثورة وحلم البرجوازي) ، وهو يبرز محدودية الفهم لدى الشخصيات ومدى انعكاس واقع الاستلاب الاجتماعي والنفسي الذي يركز وجهة نظر (الراوي العليم) .
بالتالي، فإن النص ينجح في تجسيد مظاهر الانقسام الثقافي، و التفكك النفسي، و الاستلاب الطبقي في شخصية المثقف، معبراً عن أزمته في التوفيق بين مسؤولياته الاجتماعية والسياسية وهويته الطبقية، عبر سرد نفسي مكثف.

٣-٢- الاستلاب الثقافي والنفسي

" آدم أبو التنك " [متاهة العميان: ٢٣]

"لماذا تنظر إلي هكذا ؟.. هل قلت شيئاً غريباً ؟..

ارتبك آدم الشيببي قليلاً، ثم قال:

-لم أكن أظنك تفكر بهذه الطريقة الغريبة .. ظننتك، وعذراً على قولي إنك إنسان عادي.. سياسي تقليدي.. ولست عميقاً إلى هذه الدرجة.. ظننتك أبسط من ذلك بكثير.. ظننتك حزبياً يؤدي مسؤولياته التنظيمية من خلال علاقته بالآخرين ...

ههه.. كلامي أدهشك ؟.. لا ضير .. نحن نحتاج أحياناً إلى بعض

السخرية والهزل.. وإلا فهي لا تطاق...

-ماذا تقصد ؟..

ابتسم آدم أبو التنك ابتسامة حزينة، وقال:

-أردت أن ألعب أمامك دور المثقف المعقد.. الذي يطرح قضايا كبيرة

مثل مقولة هاملت أكون أو لا أكون ، ذلك هو السؤال.. وأتحدث بلسان

شخصيات تسمونها إشكالية .. ويبدو أنك اقتنعت بما قلته..؟ لا يا صديقي.. أنا آدم أبو التنك.. أنا ملتزم بقضية الطبقة العاملة وحزبها الطبيعي.. وكل هذه

الذلكات التي يتحدث بها المثقفون لا تعني...

ارتبك آدم الشيببي وارتسمت الحيرة على وجهه، وقال:

-لم أفهم .. هل تقصد أن كل ما قلته لا تقصده وغير صحيح، وأنت

كنت تسخر مني..؟

-لا .. لا .. معاذ الله .. لكنني كنت أريد أن أثبت لك بأن الإنسان كذاب كبير .. ومدع كبير .. ومقنع كبير ... وأن اللعب بالكلمات من

أسهل الألعاب

التي لا تكلف شيئاً.

-هل تقصدي .. هل تقصد أنني ألعب بالكلمات ؟..

-لا .. أنا أقصد نفسي .. فقد تلاعبت بالكلمات كما رأيت .. وأجبت "[٢٣:٢٩]

في هذا المشهد، يكشف برهان شاوي عبر شخصية "آدم أبو التنك" عن حالة أكثر تعقيداً من الاستلاب الوجودي والطبقي العميق للمثقف العراقي، حيث تكون هناك فجوة بين الإنسان وقناعاته إذ يصبح أسيراً لأدوار اجتماعية زائفة يدع من خلالها كونه مثقفاً، أو مناضلاً، وهو ما بدا واضحاً في فترة سقوط النظام البائد وإبان الاحتلال الأمريكي إلى العراق عام ٢٠٠٣، حيث يقدم "آدم أبو التنك" ما يمكن تسميته بـ "المثقف المزوج" أو "المثقف المأزوم" وهو نمط يتطابق مع تحليل ماركس لـ الاغتراب الطبقي، حيث يفقد الإنسان صلته بذاته مما يعكس حالة من التشوش في الوعي الطبقي والهوية ذاتها .

فشخصية "آدم أبو التنك"، التي تدعي الانتماء إلى الحزب الطبيعي والتزامها بالدفاع عن الطبقة العاملة، تعترف علناً بتلاعبها بالخطاب الثقافي والسياسي وتقمصها أدواراً لا تؤمن بها، مما يشير إلى الانخراط في لعبة الانتحال والتظاهر، ويؤشر إلى الانفصال بين الوعي والسلوك، أي بين الانتماء الطبقي الحقيقي والرائف، كما يشير إليه في تصريحه: "كنت أريد أن أثبت لك بأن الإنسان كذاب كبير .. ومدع كبير .. ومقنع كبير" ؛ حيث يفقد الفرد صلته بجوهره الحقيقي ويصبح مجرد قناع يتنقل بين الخطابات دون قناعة، كما يظهر في

قوله: "أردت أن ألعب أمامك دور المثقف المعقد.. الذي يطرح قضايا كبيرة مثل مقولة هاملت...". وهو اعترافٌ آخر بأنه يمثل دور زائف للمثقف الذي لن يكونه حقاً، هذا المشهد يكشف التناقض بين الخطاب (العمق الفكري، النضال) والممارسة (الأداء، الخداع، المحاكاة)، كما يعكس ازدواجية دور المثقف العراقي بعد أن فشل في أن يكون فاعلاً حقيقياً في مجتمعه، وتحوله كما يقول "آدم أبو التت" إلى شخص يتقن فن اللعب بالكلمات، لا لعبة التغيير التي ترتبط بدور المثقف مما يكشف عن أزمة التمثيل الثقافي في العراق: أذ أن كثيراً من المثقفين لا ينطلقون من تجربة حقيقية ووعي كامل بالتغيير، بل من "فذلكات" خطابية، و مظاهر ثقافية ولغوية وفكرية مُعلّبة على حد وصفه .

وفي مقاربة فلسفية ذكية يعارض برهان شاوي هايدغر الذي يؤكد على اللغة، وعلاقتها بالكينونة والهوية إذ تعبر عن جوهر الكائن بطرح سارتر الذي يؤكد علناً أن الإنسان ليس في ما يقول وإنما فيما يفعل ويتمثل ذلك في شخصية "آدم أبو التت" في "مناهة العميان"،

إذ تعبر اللغة عند مارتين هايدغر عن جوهر الكائن الإنساني بوصفها البيت الذي يسكن فيه، فهي ليست مجرد وسيلة للتواصل، و"آدم أبو التت" بتلاعبه بالكلمات خان بيت كينونته وأفرغ اللغة من جوهرها، مما يشير إلى انقطاع العلاقة بين الكينونة واللغة، وهي دلالة واضحة على اغتراب الإنسان عن لغته، وبهذا فإن هوية الشخصية تشيات، وتفتكت وضاعت.

أما على الصعيد السردي فيظهر النص العديد من التقنيات السردية كالمسرد الحوارية المكثف بين العديد من الأصوات التي تعكس التوترات الداخلية والتناقضات الفكرية للشخصيات في الرواية المتعددة الأصوات الذي يبرز من خلال التبادل الكلامي عبر توظيف لغة السخرية والهزل للتخفيف من حدة التوتر، كاشفاً في الوقت ذاته عن عمق الشك الداخلي والاستلاب النفسي، فضلاً عن ممارسة لعبة الترميز والتضليل بالكلمات، هذا الأسلوب الذي يستخدمه الراوي "آدم أبو التت" ليبرز ضعف المثقف في الدفاع عن قضيته، وكدلالة على غياب الوضوح والمصادقية.

، من هنا فإن برهان شاوي يقدم في هذا النص نقداً حاداً للمثقف العضوي/ التقليدي، الذي يعيش مأزقاً وجودياً وطبقياً فنجدته يُكرّر شعارات الالتزام الطبقي الرنانة، لكنه في الحقيقة ضائع، وساخر من كل شيء، حتى من نفسه، كما يكشف عن حالة التذبذب بين الوعي السياسي والتمثيل الاجتماعي للمثقف العراقي .

نستنتج من هذا بأن النصوص السابقة توضح بجلاء تداخل تمثيلات الاستلاب الوجودي، الطبقي، السياسي، الاقتصادي، الثقافي، والنفسي والتي يعاني منها المثقف العراقي في "مناهة الأشباح" و"العميان"، سواء من خلال اصطدامه في السلطة أو انغماسه في منظومتها، كما تميز بين أنماط متعددة من المثقفين، بينها من أخطرت في بنى الهيمنة قسراً أو طوعاً، مما يظهر البنية الطبقيّة بوصفها عاملاً في تحديد مسارات المثقف وتشكيل وعيه إزاء الواقع العراقي وتقديم نماذج سردية واضحة من الروايتين تدعم كل نوع. فمثلاً، يتجلى الاستلاب الاقتصادي في شخصيات مسحوقة مثل "آدم" العامل المهمش، بينما يظهر الاستلاب السياسي في عجز المثقف أمام القمع. أما الاستلاب الثقافي، فتمثله الشخصيات المغتربة عن هويتها، في حين يجسد الاستلاب الوجودي من خلال العزلة والجنون وفقدان الشعور بالانتماء .

٤- النتائج

يكشف تحليل روايتي "مناهة الأشباح" و"مناهة العميان"، بروز الاستلاب الطبقي كمحور رئيسي يتقاطع مع البنية النفسية والفكرية للمثقف العراقي، ويعكس أبعاد الاغتراب الفكري والاجتماعي التي تشكل هويته ووعيه، ويمكن تلخيص أهم نتائجه على النحو التالي :

- ١- لقد جسّد برهان شاوي في هاتين الروايتين تشكيلات الاستلاب بأنواعه المتعددة: الاقتصادي، الثقافي، السياسي، والوجودي، وذلك من خلال شخصيات مأزومة، ممزقة داخلياً، ومجموعة خارجياً، تعيش داخل "مناهة" لا مخرج منها.
- ٢- يظهر الاستلاب الاقتصادي ليس في الشخصيات القادمة من الطبقات المهمشة والمحرومة، التي تقتند إلى أبسط شروط العيش الكريم، وتجد نفسها مستلبة في دورة الفقر والعجز، بل يمتد إلى المثقف، الذي قد يتحول المثقف ذاته إلى سلعة أو تابع لطبقة المال والسلطة، ما يعكس تناقضاً في وعيه و ازدواجية في دوره .
- ٣- أما الاستلاب الثقافي، فتمثل في فقدان الهوية، واغتراب الشخصيات عن تراثها وأصالتها، وتبنيها لخطابات مستوردة أو مفروضة، تجعلها تعيش الانقسام بين الداخل والخارج، وبين ما تؤمن به وما يُفرض عليها.

- ٤- يكشف شاولي عن عجز المثقف عن مقاومة السلطة أو التأثير فيها، حيث يظهر بعض المثقفين في الروايتين بوصفهم أدوات للنظام أو شهودًا صامتين على القمع، ما يعكس استلابهم الطبقي والسياسي في الوقت ذاته، ويبرز التناقض بين الصورة المثالية للمثقف وواقعه الفعلي للمثقف حيث تتجلى بوضوح صورتى "المثقف المأجور" مقابل "المثقف المنكسر والمطارد".
- ٥- تفقد الشخصيات الشعور بالجدوى أو الانتماء، وتعيش عزلة خانقة داخل متاهات من الأسئلة، والجنس، والموت، والجنون، مما يعكس الانهيار الكلي للذات في عالم عبثي وبناءً على التحليل، يمكن الاستنتاج بأن برهان شاولي لا يقدم فقط سردًا أدبيًا بل يمارس تفكيرًا فلسفيًا واجتماعيًا لبنية الإنسان العراقي ما بعد ٢٠٠٣، وخاصة المثقف، الذي أفرغ من وظيفته التنويرية وتحول إلى كائن مستلب، فاقدر للفعالية، محاصر بين الطبقات الصاعدة (المال، الدين، العنف) وبين وعيه العاجز عن التغيير حيث يظهر الاستلاب الوجودي في اعمق صورته .
- ٦- إن روايتي "متاهة الأشباح" و"متاهة العميان" تكشفان عن فشل مشروع التنوير العراقي في بيئة يغلب عليها الفساد، العنف، والخواء القيمي، حيث يصبح الاستلاب الطبقي ليس فقط واقعًا ملموسًا، بل مصيرًا وجوديًا للشخصية. وهكذا، فإن الروايتين تقدمان أدبًا وجوديًا نقديًا عالي الكثافة، يدعو إلى مساءلة الواقع وإعادة تعريف موقع المثقف ضمنه.
- ٥-المصادر :
١. المثقف العراقي والواقع الطبقي في الأدب الحديث، ناجح المعموري ، دار المدى، ٢٠١٤، ط١.
 ٢. علم نفس الشخصية المستلبة (مبادئ علم التحليل النفسي الطبقي) ،محمد حسين شاولي ، أرياد للطباعة والنشر ، سوريا ، ٢٠١٦، ط١.
 ٣. متاهة الأشباح، العراق، برهان شاولي ، بغداد، دار بغداد للطباعة والنشر ، ٢٠٢١، ط١.
 ٤. "الاستلاب الطبقي في الرواية العراقية الحديثة"، مروان عبد العزيز مجلة الثقافة، العدد ٤٥، ٢٠٢٠.
 ٥. "دور المثقف في الرواية العراقية المعاصرة"، علي حسين ، مجلة الدراسات الأدبية، ٢٠١٩.
 ٦. الاغتراب والاستلاب في الأدب العربي المعاصر، سهام عبد الله ، بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠١٨، ط١ .
 ٧. متاهات برهان شاولي: دراسة نقدية ، محمد الشريف ، دار الشؤون الثقافية، ٢٠١٨، ط١.
 ٨. الاستلاب والاغتراب في الرواية العراقية ، صفاء الجنابي، ، دار المدى، ٢٠١٢، ط١.
 ٩. نجم الدين فاضل ، تأويل الرواية العراقية بين الهوية والاستلاب، مجلة الإبداع الأدبي، ٢٠١٧.
 ١٠. الاستلاب الطبقي والهوية في الأدب العراقي ، عبد الله الحسن ، دار الشؤون الثقافية، ٢٠١١، ط١.
 ١١. المثقف العراقي بين الاستلاب السياسي والاجتماعي، شهاب عبد الكريم ، مجلة الدراسات الثقافية ، ٢٠٢١.
 ١٢. مفهوم الاستلاب في الأدب العراقي الحديث ، رائد النعيمي ، مؤتمر الأدب العربي، القاهرة ، ٢٠١٩.
 ١٣. تحليل رواية متاهة الأشباح ، هيثم الزهاوي، مجلة الأدب الجديد، ٢٠٢٢.
 ١٤. الصراع الطبقي في الرواية العراقية، خضير محمد ، مجلة الفكر النقدي، ٢٠١٩.
 ١٥. الطبقة والمثقف في الرواية العراقية ، سامي الزبيدي ، دار المدى، ٢٠١٧، ط١.
 16. الاغتراب والهوية في الأدب العراقي الحديث، وليد السرحان ، دار المدى، ٢٠١٣، ط١.
 17. متاهات برهان شاولي: دراسة نقدية ،محمد الشريف ، دار الشؤون الثقافية، ٢٠١٨ ، ط١.
 18. الرواية العراقية بين الاستلاب والحرية. ، حسن العلواني ، دار المدى، ٢٠١٠ ، ط١.
 19. الاستلاب الطبقي ودوره في التشكل النفسي للشخصية الروائية، ياسين صبري ، مجلة العلوم الإنسانية ، ٢٠٢٠.
 20. دور المثقف العراقي في الأدب بعد ٢٠٠٣، سامي الجبوري ، مجلة الثقافة العربية ، ٢٠٢١.
 22. تأويل الرواية العراقية بين الهوية والاستلاب، نجم الدين فاضل ، مجلة الإبداع الأدبي، ٢٠١٧.
 23. الصراع الطبقي وتأثيره على البنية السردية في الرواية العراقية، هالة فؤاد، مجلة الدراسات النقدية ٢٠٢٠ .
 24. الاغتراب الوجودي في الأدب العراقي الحديث، كاظم عبد المجيد ، مجلة الفنون الأدبية ، ٢٠٢١.
 25. الاغتراب والهوية في الرواية العراقية المعاصرة، جمال الكيلاني ، مجلة البحوث الأدبية ، ٢٠١٨.
 ٢٦. متاهة العميان ، برهان شاولي ،العراق بغداد ، دار بغداد للطباعة والنشر ، ٢٠٢٢ ، ط١.